

محاضرة التفسير للدكتور صلاح الصاوي - سورة التوبه 1 -

المحاضرة 1

صلاح الصاوي

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله وعلى الله وصحبه ومن والاه ايها الاخوة والاخوات سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته. وحياكم الله جميعاً حيثما كنتم. ومرحباً بكم - 00:00:28

مجدداً مع هذه المحاضرة الاولى من تفسير سورة التوبه هذه السورة الكريمة من اواخر ما نزل من سور على رسول الله صلى الله عليه وسلم من اواخر ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هذا - 00:00:47

عقب غزوة تبوك اي بعد اثنين وعشرين عاماً من بدء الوحي والرسالة وكان هذه السورة انما تمثل البيان الختامي للدعوة والرسالة لقد نزلت في وقت كان المسلمين يتأهبون للخروج برسالة الاسلام - 00:01:09

الى خارج الجزيرة العربية والافتتاح بها على هذا العالم باسره لكي يوطئوا للحق مهاداً ويرفع له راية ويركز له لواء في مشارق الارض ومغاربها توقيتها في غاية الدقة في غاية الحكمة - 00:01:32

نعم هذه السورة لها اسماء اه كثيرة حتى وصل بها بعض اهل العلم الى اربعة عشر اسماء من اسمائها التوبه وبراءة هذا نسمان مشهوران بين الناس كما تعلمون سورة العذاب منسوب هذا القول الى حذيفة. المقشقة البحوث لانها بحثت عن سرائر المنافقين. قاله المقداد - 00:01:56

الفاضحة لانها فضحت المنافقين. قاله ابن عباس المبعثرة لانها بعثرت اخبار الناس وكشفت عن سرائرهم الحارس ابن يزيد وابن اسحاق المثيرة لانها اثارت مخازن منافقين ومثالهم نعمق قاله قتادة الحافرة لانها حفرت عن قلوب المنافقين قاله الزجاج. يبقى بل اقول لكم ان بعض اهل العلم - 00:02:27

وصل بها كما قلنا الى اربعة عشر اسماء. كما قلنا براءة التوبه المخزية الفاضحة الكاشفة المنكلة العذاب المدمدة المقشقة المبعثرة المشردة المثيرة الحافرة فضحت هذه السورة الكفار والمنافقين تخاذلين وكشفت افعالهم - 00:02:58

بتلاؤها حاجة تانية ايضاً مجيء سورة التوبه بعد سورة الانفال له حكمة بالغة لقد تحدثت الامثال عن اول غزوة المسلمين غزوة بدر تحدثت التوبه عن اخر غزوة المسلمين في زمن رسول الله وهي غزوة تبوك. حتى تستشعر الفرق - 00:03:22

في المجتمع الاسلامي بين الغزوتين فكأنهما سورة واحدة بدايتها تمكين لامة وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم. وليمكن لهم - 00:03:49

انهم الذي ارتضى لهم ولبيدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً. لاحظ معنى جميل ايضاً سورة التوبه لانها كانت اخر سور او من يائنا او من اواخرها على خلاف من اهل العلم نزولاً على النبي صلى الله عليه وسلم - 00:04:14

وبما انها النداء الاخير للبشرية يعني اراد وبعد ان فضح الله فيها احوال الكافرين والمنافقين والمخالفين كان لابد ان يعلمهم خاصة وان يعلم الدنيا باسرها. ان باب التوبه مفتوح. هذه سورة التوبه - 00:04:38

باب التوبه مفتوح وتقبل توبه العبد ما لم يغرغر. فعليهم ان يعجلوا بها قبل الغرغرة. فسبحان من وسعت رحمته كل شيء. ومن سبقت رحمته غضبه لقد كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمته تسيق غضبه. هل تعلمون ان كلمة التوبه في هذه السورة - 00:05:04

كانت سبع عشرة مرة اكثرا من آية سورة أخرى في القرآن كله. لقد وردت التوبة في هذه الكلمة يعني في قال الكريم في سورة البقرة ثلاث عشرة مرة في النساء اثنتي عشرة مرة في المائدة خمس مرات. بينما في سورة التوبة آية سبع عشرة - 00:05:30
مرة كما قلنا فسبحان الذي يفتح ابواب التوبة للعباد جميعا. الكفرة والفجرة والفسقة والعصاة والمنافقين رغم ما اقترفوه في حياتهم من جرائم واثام عظام ارأيت ابلغ من ان يقول الله جل جلاله للذين فتنوا اولياءه بالنار - 00:05:54
واحرقوهم في النيران في حادثة الالحاد وان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق. ولو وتاب هؤلاء يا احبابي لتاب الله عليه نعم براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين. لكن لاحظوا شيئا ايضا قبل ان ندخل في تفسير السورة ان - 00:06:20

هذه السورة هي السورة الوحيدة التي لم تفتتح بالبسملة لم تبتدأ بالبسملة من دون سور المصحف. من دول سور القرآن الكريم كله اهل العلم تفسيرات كثيرة لعل اصواتها واضبطها وادقةها - 00:06:50
ما رواه ابن عباس عن عثمان يقول ابن عباس قلت لعثمان ما حملكم انعمتم الى الانفال وهي من المثاني والى براءة وهي من المثين وقرنتم بينهما ولم تكتموا بينهما سطر. سطر. بسم الله الرحمن الرحيم. ووضعتمها في السبع - 00:07:17
الطول ما حملكم على ذلك فقال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذات العدد فكان اذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يتلو فقال ضعواها - 00:07:42

هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال من اول ما نزل بالمدينة كانت براءة من اخر ما نزل من القرآن. وكانت قصتها شبيهة وكانت قصتها شبيهة بقصتها. اي قصة - 00:08:00

هذه السورة شبيهة بقصة هذه السورة. وخشيتم انها منها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا ان لها منها فمن اجل ذلك قرنت بينهما ولم اكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم. وضعها في السبع الطول - 00:08:19
هذا قول لعله ارجح ما قيل الاقوال الاخرى الواردة ان البسمة رحمة وامان وبراءة نزلت بالسيف واعلان البراءة من المشرفين فليس فيها امان. او ان هذا جرى على عادة العرب - 00:08:43

انهم كانوا اذا كتبوا كتابا فيه تبرأ من من عهد واعلان براءة اسقطوا منه البسمة. فلما ارسل النبي صلى الله عليه وسلم عليا ليقرأها عليهم في الموسم قرأها ولم يسم على عادة العرب في ذلك - 00:08:59
والقول الذي ذكرناه انما عن عثمان ان الصحابة اختلفوا هل براءة والانفال سورة واحدة؟ ام انها سورة طيب تركوا بينهما فرحة لقول من قال انها سورتان وتركوا البسمة لقول من قال - 00:09:19

انهما سورة واحدة فرضي الفريقان وثبتت حجتاهما في المصحف والقرطبي مسلا يقول وال الصحيح ان البسمة لم تكتب في هذه السورة لان جبريل لم ينزل بها في هذه السورة الشيخ الشنقيطي رحمه الله - 00:09:39
القول الذي نقله ابن عباس عن عثمان فيقول رحمة الله اظهر الاقوال عندي في هذه المسألة ان سبب سقوط البسمة في هذه سورة ما قاله عثمان رضي الله عنه لابن عباس وساق الحديث السابق انه يعني - 00:10:01

عندما قال له عثمان كان اذا نزل عليه شيء يعني على النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بعض من يكتب عنده فيقول ضعوا هذا في السورة فيها كذا وكذا. وتنزل عليه الايات فيقول - 00:10:24
وهذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا. وكانت الانفال من اوائل ما نزل بالمدينة وبراءة من اخر ما نزل من القرآن. وكانت قصتها شبيهة بقصتها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم - 00:10:39

ولم يبين لنا انها منها. فمن ثم قارنت بينهما ولم اكتب بينهما سطر. بسم بالله الرحمن الرحيم. لكن بفهم من هذه الرواية وهي كما قلنا لعلها ارجح ما قيل في في تفسير لماذا لم تستهل سورة التوبة بالبسملة؟ ان ترتيب ايات القرآن - 00:10:59
توفيقي بتوفيق من النبي صلى الله عليه واله وسلم اه كما ان ترتيب سور القرآن بتوفيق ما عدا سورة براءة اللي وقع فيها نزاع. لكن واضح ان ترتيب الايات توفيقي وترتيب - 00:11:23

صور توفيقي وهذا اظهر ما قيل والدلالة عليه ظاهرة امر تاني يزوره الشنيطي رحمة الله يقول الدلالة على ان القياس اصل في الدين الا ترى الى عثمان واعيان الصحابة كيف لجأوا الى قياس الشبه عند عدم النص؟ لما رأوا ان قصة براءة شبيهة بقصة الامثال -

00:11:41

الحقوها بها. فاذا كان القياس يدخل في تأليف القرآن في ترتيبه فما ظنك بسائر الاحكام براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين ان او ان صدر هذه السورة -

نزل على حبيبنا صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك وهم بالحج ثم ذكر ان المشركين يحضورون عامهم هذا الموسم على عادتهم في ذلك يطوفون بالبيت عراة. فكره مخالطتهم وبعث ابا بكر -

اصدق رضي الله عنه اميرا على الحج في تلك السنة ليقيم للناس مناسكهم. ويعلم المشركين الا يحجوا بعد عامهم هذا وان ينادي في الناس براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين. فلما قفل اتبعه بعلي -

ابن ابي طالب ليكون مبلغا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكونه عصبة له فقوله تعالى براءة من الله ورسوله اي هذه براءة اي تبرؤ من الله ورسوله الى الذين -

اهتم من المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر طيب اه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر اعلان براءة من المشرفين الذين آآ يعني كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهود -

براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر اشواط. اهل التفسير اختلفوا في هذه الاية اختلافا كسيرا واظهر ما قيل ان هذه البراءة كانت لذوي العهود المطلقة الغير محددة بزمن -

او من له عهد دون اربعة اشهر يكمل له اربعة اشهر. اما من كان له عهد مؤقت عشر سنين تمان سنين اقل لاكسر فاجله الى مدة ما دام لم ينقض عهده يعني ولم يزاهر على جماعة المسلمين -

ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهر عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتكم. فمن كان بينه وبين النبي وسلم عهد فعهده الى مدة وهذا احسن الاقوال واقواها وقد اختاره ابن جرير رحمة الله -

يبقى ظاهر هذه الاية العموم في جميع الكفار والمعاهدين براءة من الله ورسوله الى الذين من من المشركين وانه بعد انقضاء اشهر الامهال الاربعة المذكورة لا عهد لكافر. لكن التفصيل الذي الذي اختاره ابن جرير وتابعه عليه الكلبي او نقله عن الكلب ومحمد ابن -

00:14:59

ابن كعب القرذبي وغير واحد يدل على ان المقصود اصحاب العهود المطلقة ومن كان عهده دون اربعة اشهر يكمل له الى اربعة اشهر. اما من كان بينه وبين رسول الله عهد الى مدة فان الله يحب الوفاء بالعهود والعقود. ويأمر بذلك ويحض عليه واوفوا بالعهد ان -

00:15:29

عهد كان مسئولا اوفوا بالعقود. ولهذا قال تعالى فاتموا اليهم عهدهم الى مدتكم ان الله يحب المتقيين اللهم اهدا سوء السبيل يا رب وقنا عذابك يوم تبعث عبادك يا رب العالمين -

00:15:54

طيب لعل هذا يعني يقودنا الى وقفة هنا ان القتال الوارد في الاية انما يكون لمن نقضوا عهودهم وخرقوا مواثيقهم واعتدوا على جماعة المسلمين الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول -

00:16:17

وهم بدأوكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون -

00:16:45

يبقى مهم ايه؟ جدا ان نعرف ان المقاتلة انما تكون لناقض العهود وخافر الذم والموانئ. الذين حرضوا على جماعة المسلمين. قاتلواهم. ظاهروا على اخراجهم. استطالوا عليه بغو على بغو على حرماتهم -

00:17:07

لكن الذين لم يفعلوا ذلك فان ديننا لم يأت فقط وليس له هم فقط لمجرد اراقة الدماء. ان محمد بعث هاديا بعث رحمة للعالمين العالم كله امة دعوة امامه احتياطي دعوة مخزون دعوي استراتيجي دعوي -

00:17:30

فالقتال استثناء لمن نقض العهد لمن اعتدى لمن حارب لمن قاتل لمن ظهر على اخراجنا درءا للحرابة وكفالة للعدوان يكون القتال. اما من لم يقاتلنا ولم يخرجونا من ديارنا ولم يظاهروا على اخراجنا - 00:17:58

فليست لنا حاجة الى قتالهم بل الحاجة الى فتح مغاليق قلوبهم بانوار القرآن وهدایاته الجهاد في شريعتنا يا احبابي حيثما كنتم. ما معناه؟ بذل الجهد نشرا للدعوة ومنعا للفتنة في الدين ونصرة للمستضعفين - 00:18:26

وقد يكون باللسان بلاغا عن الله ورسالته. وقياما بحجته على عباده بالحكمة والمواعظ الحسنة. وقد يكون اليد درءا للحرابة وكفالة للعدوان الواقع او المتوقع على جماعة المسلمين ونصرة للمستضعفين ويلاحظ ان الجهاد من الامور العظام التي تناط بالسلطان والائمة ولا مدخل فيها - 00:18:49

لحاد الناس الا ما يتعلق بدفع الصائل. ولا يصلح الجهاد الا عند تحقق القدرة وغلبة المصلحة بل ازيدك قوله مهما نصت عليه المرجعيات والمجامع الفقهية المحاصرة حيث قالوا في عالم الفضاءات المفتوحة - 00:19:18

واحترام الخصوصيات الدينية والشيوخ ثقافة حماية حقوق الانسان وتجريم الاضطهاد الديني ما اغنى عن جهاد الطلب الذي ما شرع الا لحماية الدعوة ومنع الفتنة في الدين ونصرة المستضعفين. ليس من الجهاد المشروع يقينا - 00:19:40

اعمال العنف التي تنتهك الحرمات وتدمير مقدرات الشعوب وتطال الابرياء من المسلمين وغيرهم سواء كانت من الافراد ام من الجماعات ام من الحكومات؟ بل ذلك من المحرمات القطعية في الاسلام - 00:20:01

ونؤكد في هذا السياق ان الاسلام دين الحق والعدل والتسامح ان المجاورة في الاوطان تنشى لحمة اجتماعية تعد رابطة للتعاييش المشتركة بين ابناء الوطن الواحد. مهما تباينت عقائدهم ويتربى عليها واجبات وحقوق متبادلة - 00:20:22

وتجعل اصل حرمة الدماء والاموال والاعراض والمرافق العامة مشتركا بين الجميع ولا مساس بشيء من ذلك الا وفق ما تحدده احكام الشرع وترتيب المجتمعات المعاصرة الادارية والقانونية نرجع بعد هذا الى قوله تعالى فسيحوا في الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجز الله - 00:20:45

وان الله مخزي الكافرين واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج لاكبر ان الله بريء من المشركين ورسوله يا ترى اربعة اشهر ما المقصود بها في هذا السياق؟ القرآني. هل الاربعة اشهر الحرم - 00:21:17

التي هي كما قال الله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والارض منها اربعة حرم اللي هي ثلاثة سرب ذو القعدة ذو الحجة محرم وواحد فرد وهو رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان ولا اشهر ولا اربعة اشهر التسبيير - 00:21:46

لا تهموني نعم المسلمين فيها من قتال المعاهدین تبدأ من وقت الاعلان من وقت البراءة من وقت نزول هذه قال يعني ايات يبقى يبقى تمتد بقى تأخذ ايه؟ يعني يعني تأخذ ذي الحجة محرم صفر - 00:22:12

ربيع الاول يعني تمتد اربعة اشهر من تاريخ اعلان هذه الاية الى الناس وهذا هو الازهر الذي يفهم من سياق هذه الايات الكريمة فسيحوا في الارض اربعة اشهر لا لا - 00:22:33

تنطبق باثر رجعي بل اربعة اشهر مستأنفة من تاريخ البلاغ القرآني والاعلان الرباني هذا التسبيير وبهذا التأمين للمعاهدین سواء اكانت عهودا مطلقة او عهودا مقيدة بما دون اربعة اشهر نعم واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر - 00:22:54

ان الله بريء من المشركين ورسوله اي هذه براءة من الله ورسوله الى جميع المشركين ان له اربعة اشهر يصيرون فيها في الارض على اختيارهم امنين من من المؤمنين وبعد الاشهر - 00:23:24

اربعة اصحاب العهود المطلقة ومن كانت عهودهم اقل من اربعة اشهر ليس لهم عهد ما دام قد وقع منهم عداون ما دام قد وقع منهم بغي واستطالة. اما اصحاب العهود المؤقتة - 00:23:45

الذين لم ينقضوها ولم ينتهكوا حرمتها فاتموا اليهم عهدهم الى مديتهم واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بريء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم. وان توليتم فاعلموا انكم غير معجز الله - 00:24:03

وبشر الذين كفروا بعذاب اليم واذان يعني اعلام من الله ورسوله. وانذار الى الناس يوم الحج الاكبر يوم النحر. افضل ايام المناسك ازهراها اكبرها جميما ان الله بريء من المشركين ورسوله. اي ورسوله ايضا بريء من المشركون - 00:24:31

وبمناسبة الضبط اللغوي واهميته انه روي ان اعرابيا سمع قارئا يقرأ هذه الاية فقرأها لحما فقرأ على هذا النحو ان الله بريء من المشركين ورسوله فتعجب كيف يتبرأ الله من رسوله كانه جعل رسوله معطوفا على المشركين. كأن الله تبرأ من المشركين وتبرأ من رسوله - 00:24:55

حاشاه حاشاه جل جلاله فدوهش من من هذا فصحح له النطق وبين له ان هذا القارئ قد لحن. وان الله جل جلاله يقول ان الله بريء من وشفينا ورسوله اي ورسوله بريء من المشركين كذلك - 00:25:25

ثم قال تعالى فان تبتم يا ايها المشركون ان تبتم مما انتم فيه من الشرك والضلال فهو خير لكم يغفر لكم ما قد سلف تعصوا به دمائكم واموالكم واعراضكم ثم تقلبون الى جنة الخلد ونعميم اللابد يوم القيمة - 00:25:46

وان توليتهم يعني استدمنتهم ما انتم عليه من الكفر والشرك والشقاوة والعناد والبغى والمحاربة فاعلموا انكم غير معجز الله. انتم في قبضته تحت قاضيه ومشيئته وهو قادر عليكم. وبشر الذين كفروا بعذاب اليم في الدنيا - 00:26:10

بالخزي والنکال وفي الاخرة بالمقامع والاغلال وكان ابو هريرة من بعثتهم ابو بكر في تلك الحجة في جملة من الصحابة اه يعلمون 00:26:34 يعلمون الناس انه لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان - 00:26:34

والنبي صلى الله عليه وسلم اردف بعلي بن ابي طالب فامرها ان يؤذن ببراءة ان يعلم الناس بنا بها يقول ابو هريرة فاذن معنا علي في اهل مني يوم النحر ببراءة والا يحج بعد هذا العام مشرك والا - 00:27:00

طوف بالبيت عريان يبقى قبل ان يأتي علي بعث ابو بكر في الحج جملة من المؤذنين من المبلغين من المعلمين يعلمون الناس 00:27:20 وينذرونهم لا يحج بعد العام مشرك لا يطوفن بعد العام بالبيت عريان. وبعدين جاء علي ابن ابي طالب فانضم الى قافلة - 00:27:20 مؤذنين فاذن في الناس ببراءة وايضا اذن فيهم. الا يحج بعد العام مشرك والا يطوف بالبيت عريان اللهم اهدا سوء السمي. نعم وهذا 00:27:43 وان الله مخزي الكافرين. هذا ما وعد الله به عباده المؤمنين. من نصر دينه واعلان كلمته وفضلان اعدائهم. الذين - 00:27:43

اخروا الرسول ومن معه من مكة هم الذين كفروا وصدوك عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محل الله ولكن الله جل وعلا 00:28:11 نصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده - 00:28:11

ومكن لدینه واولیائه المؤمنین وجاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دین الله افواجا واذل الله المشركین وصار للمؤمنین الحكم 00:28:30 والغلبة في ارض الله فاوحى اليهم ربهم لنھلکن الظالمین ولنسکنکم الارض من بعدهم - 00:28:30

ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيid وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم 00:28:58 وليتمكن لهم دینهم الذي ارضی لهم ولیبدرنهم من بعد خوفهم امنا. يعبدونني لا يشرکون بي شيئا. ومن کفر بعد ذلك فاولئک هم الفاسقون - 00:28:58

احبتي اخوتي واحواتي حيثما كنتم نكتفي بهذا القدر في التعليق على هذه الايات من صدر سورة التوبه ونتابع التفسير والتعليق 00:29:26 ونسأل الله السداد والتوفيق فتابعونا وحتى نلتقي بكم في المحاضرة القادمة وهي المحاضرة الثانية من محاضرات تفسير سورة التوبه. استودعكم الله - 00:29:26

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته - 00:29:52